الاتحاد السوفيتى ومحاولات التمركز فى الخليج العربى

دكتور
محمود حسن الصراف

الخليج العربى هو ذراع من البحر العربى ممتد داخل بلاد الشرق الأوسط ، وبسبب هذا قصر امتداد المعبر البرى فى المنطقة . وهو يقع بين نطاق مرتفعات " زاجروس / طوروس " من جهة وبين هضبة بلاد العرب الصحراويه من جهة أخرى ، وتتضمنه سهول العراق وسوريا . ويكون الخليج العربى مع هذا المعبر البرى الطريق الأوسط من طرق التجارة الشرقية وأهمها (١) . وقد استمر هذا الطريق يلعب أهم دور فى نقل التجارة الشرقية وغيرها من الاتصالات البشرية الأخرى بين عالم المحيط الهندى وبين عالم البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور الى أن فتح طريق قناة السويس ، ففقد كثيرا من أهميته (٢) .

وإن طريق الخليج العربى كان يشكّل أحد طرق رئيسية ثلاثة التى كانت الاتصالات البشرية تنتقل عليها منذ أقدم العصور بين القسم الشرقى من العالم القديم وبين الغربى منه ، وكان يسمى الطريق الأوسط ، ويمر خلال سهول الشرق فى العراق وسوريا الى موانى الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط (٣) .

والخليج العربى ضيق نسبيا ، كما أنه ضحل . ويبلغ طوله فى خط مستقيم بين مصب شط العرب وبين ساحل عمان نحو ٨٠٠كم . اما عرضه فيتراوح بين نحو ٢٢٨كم فى أقصى اتساعه شرق شبه جزيرة قطر وبين نحو ٤٦كم فى مضيق هرمز حيث تبدو رأس مسندم كالسهم المصوّب من أرض عمان نحو المضيق . أما من ناحية العمق ، فان أعمق أجزائه لا يتجاوز نحو ١٠٠ متر فى الغالب (٤) .

ويحتوى الخليج العربى على عدد كبير من الجزر الصغيرة ، ويكثر وجودها أمام بعض المناطق من سواحله ، وهذا يساعد على هدوء حركة الماء عند هذه المناطق . ومعظم هذه الجزر قاحل أو شبه قاحل ، الاّ أنها تحرز أهمية أخرى ، فهى تستخدم كمراكز لصيّادى اللؤلؤ ، أو لها أهمية استراتيجية كتلك الجزر التى استولت عليها ايران : وهى " ابوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى " لارتباطها بالسيطرة على مدخل الخليج الذى يتحكم فى عملية المرور فى مياهه . وكذلك يتضمن بعض من هذه الجزر مرافىء صالحة لاستقبال بعض السفن العملاقة مثل جزر البحرين وهرمز وهمكام (هنجام) وغيرها . ولعل هذه العوامل الطبيعية بجانب هدوء مياهه ، وما يتضمنه فى باطنه من ثروات هى التى جعلته واحدا من الأمهاد الأولى للملاحة ومن المراكز الكبرى لنشاطها فى كل العصور (٥) .

وتعتبر منطقة الخليج العربى من بين المناطق الرئيسية فى الاستراتيجية العالمية ، وكانت ايران أول دولة خليجية اتجهت أطماع الأوروبيين اليها ، فقد كانت غنية ببعض السلع ، ومنها ما كان من انتاجها المحلى ، ومنها ما كانت القوافل تنقله اليها من الهند ومن الصين خلال الطرق الموصلة بينهما (٦) . وكانت هذه السلع ، ومن بينها الحرير الذى كان الشاه الصفوى يحتكر تجارته ينقل خلال معبر الشرق الأوسط فى أراضى العراق وسوريا الى الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط . ثم تعرقل نقلها بسبب استيلاء العثمانيين على هذه

المناطق وعدائهم مع الايرانيين بسبب اعتناق الأخيرين المذهب الشيعى أو ما يطلق عليهم الرافضة لرفضهم خلافة أبى بكر وعمر وعثمان مع التوهين من شأنهم . ولهذا كان ترحيب الشاه الايرانى كبيرا بالبرتغاليين والانجليز كعملاء مباشرين لثرواته (٧) .

وبعد خروج نابليون بونابرت من مصر بدأ الانجليز يتعاملون مع الشرق الأوسط مباشرة ، وتفتحت عيونهم على الشرق البالغ الأهمية من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية والذى يتضمن طرقا الى الهند وأبوابا لها (٨) . وكان نابليون بونابرت من أكثر الناس تأثرا بهذه الجاذبية ، ومن ثم كان يحلم بتشييد امبراطورية تحاكى امبراطوريات الاسكندر وهارون الرشيد وتيمور لنك ، ويكون فى بطولة وشجاعة وعظمة خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى ، وأيضا كانوا يتحدّثون عن " الشرق الذى لا يتغيّر " . حيث كانوا يظنّون أن الشرق مهد المحافظة والبقاء على وتيرة واحدة لا يتبدل (٩) .

وكانت منطقة الخليج العربى من المناطق التى اهتم الانجليز بها ، وجاهدوا على توغل نفوذهم فيها نظرا لموقعها النائى عن استانبول عاصمة الدولة العثمانية ، وعدم اهتمام العثمانيين بها لفقرها وغلبة الحياة البدوية على سكانها . وقد ازدادت مخاوف الانجليز من أطماع الدول الأوربية التى كانت تهدّد الهند والطرق الموصلة اليها خلال الشرق الأوسط وأهمها فرنسا وروسيا القيصرية وألمانيا ، فدفعهم ذلك الى نقل ثقلهم السياسى من غرب المتوسط الى شرقه ، وأصبح من

المبادىء الأساسية فى السياسة البريطانية منع أى قوة أجنبية مهما كانت من السيطرة على الخليج العربى وممراته ، خاصة وأن روسيا ذات أطماع فى المنطقة الخليجية ، وهى لا تزال منذ عهد بطرس الأكبر تواصل ضغطها على ايران للوصول الى المياه الدافئة فى الخليج العربى (١٠) .

ومع كل هذا الاهتمام الأوربى والصراعات السياسية والعسكرية لم تبد الدولة العثمانية اهتماما كبيرا بمنطقة الخليج العربى الا منذ أواخر القرن التاسع عشر فى عهد مدحت باشا ، ثم بعد عام ١٩٠٨ عندما سيطر على الحكم رجال " تركيا الفتاه " . ومن المعروف أن الولايات البعيدة الواقعة على شاطىء الخليج الشرقى لم تكن تعترف للدولة العثمانية الا بقليل من النفوذ (١١) .

وفى سنة ١٩٠٠ بدأت ألمانيا تعتنق فكرة التوسع فى اتجاه الشرق وعملت على تغلغل نفوذها السياسى والاقتصادى فى ايران . ولا شك أن الدافع الأساسى الموجّه للسياسة الألمانية كان عرقلة السياسة البريطانية ولم يكن تدخّلها فى ايران غاية فى ذاتها ، بل كان خطوة فى سبيل الوصول الى الهند وزعزعة النفوذ البريطانى (١٢) . وفى سبيل القضاء على هذه القوة الدخيلة الخطرة ، اضطرت بريطانيا وروسيا الى التخلى مؤقتا عن صراعهما ، خصوصا بعد خروج روسيا من حربها مع اليابان سنة ١٩٠٥م مغلوبة على أمرها ، فعقدا الاتفاق الانجليزى الروسى عام ١٩٠٧ . وقد قسّم الاتفاق ايران الى منطقتى نفوذ سياسى ،

المنطقة الشمالية ، وكانت من نصيب روسيا ، والمنطقة الجنوبية من نصيب بريطانيا . كما اتفق على جعل المنطقة الوسطى منطقة حياد يكفله اتفاق الطرفين . وقد بقى هذا الاتفاق سرّيا بين الحكومتين ، ولم تتخلص ايران منه الاّ فى عام ١٩١٨ عندما أعلنت الحكومة السوفييتية نقضها لجميع الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت مع غير حكومة الثورة البلشفية (١٣) .

والذى يهمنا من هذا الاتفاق أن روسيا قد استفادت من عقده كثيرا اذ مكنّها من بسط نفوذها على مساحات كبيرة فى شمال ايران . وبذلك تقدّمت خطوة من هدفها المنشود ، وهو الهند والخليج العربى (١٤) .

اهتمام الاتحاد السوفيتى بمنطقة الخليج العربى :

ورث الاتحاد السوفيتى دولة روسيا القيصرية ، ومع ذلك نهج نهجه فى أسلوبه الاستعمارى • وفيما يتعلق بتحديد أسس وأهداف السياسة السوفيتية فاننا نتمشى مع المؤرخ الانجليزى " نورثدج " حيث ذكر أن السياسة السوفييتية هى مزيج من توسع أيديولوجى واستعمار روسى تقليدى فى سعى دائب لتحقيق السيطرة العالمية (١٥) •

وفى سبيل تحقيق السيطرة العالمية نهج الاتحاد السوفييتى العوامل الثلاثة التالية :

أولا : عامل الأمن :

وترجع أهمية هذا العامل الى طبيعة نشأة الامبراطورية الروسية التى توسعت فى جميع الاتجاهات ، فضمّت أكثر من نصف الأرض الأوربية والآسيوية ، ويسكن بداخلها أكثر من مائة مجموعة جنسية ولغوية داخل أكثر من ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ميل مربع • وهذا الوضع خلق لها تهديدات مستمرة من فوضى أو تحريض للأقليات العنصرية ، أو هجوم خارجى على حدودها الطويلة • ولتأمين سلطتها عمدت الى ادارة مركزية بيروقراطية فى الداخل لعب القمع القيصرى فيها دور تأكيد سلطة الحكومة الروسية • ولتأمين حدودها عملت على التهام جيرانها فى العصر القيصرى (١٦) ، وعقد الصداقات او اضعاف جيرانها فى العصر الثورى •

وبعد الحرب العالمية الثانية ارتبطت مشكلة الأمن السوفييتي بالمواجهة العالمية بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وتأثّر ذلك بالتطور التكنولوجي في أسلحة الحرب ، وما يعكسه هذا التطّور من دعم للأيديولوجية الشيوعية(١٧) حيث يعارض السوفييت مثلا القواعد العسكرية على أساس أنها تمثل سيطرة خارجية ، وهو تفسير سياسي أيديولوجي ، بينما لا يحبذ الغرب القواعد الآن ايضا ، لكن على اساس فني وهو عدم فاعليتها في صراع عسكري وقيودها السياسية والتزاماتها المالية الباهظة .

ثانيا : عامل الاقتصاد :

ويتمثل في التجارة ثم البترول . وقد تطلّب تطوّر اقتصاد أوكرانيا الانطلاق الى أسواق خارجية للتجارة ، وهو ما دفعها الى المياه الدافئة نحو البلطيق حيث أسواق شمال أوروبا وغربها والبحر الأسود والخليج العربي والمحيط الهادي (١٨) .

وتمثل التجارة والرغبة في الحصول على امتيازات بترولية لاغراض اقتصادية وسياسية واستراتيجية احدى أهدافها في الشرق الأوسط . وجدير بالملاحظة أن تخلّف روسيا الاقتصادي والتكنولوجي في العهد القيصري حال دون تحقيق مركز مرموق لروسيا دوليا ، وكيّف نظرتها نحو الغرب (١٩) .

ثالثا : عامل أيديولوجى :

وهو فى أبسط معانيه الارتباط بعقيدة حضارية قيادية • ظهرت فى العهد القيصرى منذ القرن السادس عشر الميلادى ، ووجدت تعبيرا عنها فى القرن التاسع عشر فى فكرة تجمع بين القومية السلافية والحضارة الغربية (٢٠) وبعد الثورة البلشفية تغيّر مضمون الرسالة الحضارية ، اذ حلت العقيدة الماركسية ، وهى ذات خصائص عالمية بدلا من المفهوم العنصرى لرسالة " الحضارة الروسية " •

وقد انعكست هذه العوامل مجتمعة فى سياسة السوفييت فى الخليج العربى ، فنلاحظ فى البداية أن روسيا القيصرية كانت مدفوعة بالرغبة فى تأمين حدودها الجنوبية سواء فى مواجهة حركات تحريضية ضد أقلياتها خاصة المسلمين منهم ، أو رغبة فى اجراء تأمين ايجابى بتحقيق ما يسمّى بنطاقات الأمن المتتابعة (٢١) • والتى تتمثل فى السيطرة على مناطق الحدود فى الأقاليم المجاورة ، ومدفوعة كذلك بتحقيق حلمها القديم فى ارتياد المياه الدافئة ، ووجدت أن هذين الهدفين لا يتحققان الاّ بالسيطرة على ايران والنفاذ الى الخليج العربى ، ومنه الى المياه الدافئة ، وعلى تركيا والتحكم فى المضايق والنفاذ الى البحر الأبيض المتوسط • ويذكر الدكتور محمود الداود أن تعثّر روسيا - بسبب انجلترا - فى قضية المضايق هو الذى كان يدفعها الى شمال الهند والهملايا والخليج العربى • وبعد يأس القيصر الروسى

من التغلغل فى الأناضول اتجه الى ايران وأفغانستان . وهنا ظهرت أهمية الخليج العربى فى الصراع الدولي (٢٢) .

وقد ركزت روسيا منذ عام ١٨٨٧م على الطريق المؤدى الى الخليج العربى وألحّت فى الحصول على موانى فيه ، خاصة الشاطىء الايرانى حيث كانت بريطانيا تسيطر على الشاطىء العربى ، وحاولت اقامة عدد من مشروعات السكك الحديدية تنتهى عند الكويت أهمها مشروع " الكونت كابنست Kapnist " لمد خط حديدى يصل شرق البحر الأبيض المتوسط بالخليج العربى ويربط بين طرابلس والكويت (٢٣) . كما عمدت روسيا ضمن هذه المحاولات الى ارسال سفنها باستمرار الى الخليج العربى وفتح قنصليات لها فى بندر عباس والبصرة وبوشهر (٢٤) .

وكانت روسيا القيصرية تدرك تماما أن ايران هى مفتاح الموقف ولذلك استأثرت العلاقات الايرانية الروسية بقسط كبير من اهتمام الدبلوماسية الروسية سواء فى العصر القيصرى ، أو فى عصر الثورة البلشفية . كذلك كانت روسيا تتحيّن الفرص لتكتيل الدول فى مواجهة استماتة بريطانيا لطرد النفوذ الأجنبى عن المناطق المحيطة بالهند ، وخاصة ايران ومنطقة الخليج العربى . ولما واجهت روسيا الهزيمة أمام اليابان عام ١٩٠٥ ، وأرادت انجلترا أن تصد الزحف الألمانى بأساليبه المالية والفنية عبر تركيا وايران نحو الخليج العربى مالت روسيا الى تسوية صراعهما حول ايران فى اتفاقية سنة ١٩٠٧ . ومع ذلك لم يفتر

حماس روسيا نحو الخليج العربى حينئذ اذ أصّرت على استبعاده من اتفاقية ١٩٠٧ ، بينما رأت بريطانيا ضرورة النص على اعتراف بطرسبرج بالوضع الراهن فى الخليج العربى (٢٥) .

ويبدو أن روسيا أرادت استبعاد الخليج العربى من التسوية حتى يظل مجالا مفتوحا للتنافس ريثما تقوى على ذلك فيما بعد . فقد انتهز الاتحاد السوفييتى الفرصة أثناء وجوده العسكرى فى الأراضى الايرانية خلال الحرب العالمية الثانية ، فأنشأ حزب " توده " (الشعب) ركيزة لنفوذه لدى ايران ، وحاول التلكؤ فى الانسحاب بعد الحرب . كما أنشأ لفترة جمهوريات انفصالية للعناصر الشيوعية فى آذربيجان وكردستان ، وان غلب على هذه المحاولة الطابع الأيديولوجى من الناحية الظاهرية فكان ذلك سببا فى تدخل الولايات المتحدة الأمريكية سياسيا وأيديولوجيا الى الشرق الأوسط بسبب ايران (٢٦) .

ففى شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ قام حزب توده الشيوعى الايرانى بثورة فى منطقة آذربيجان الواقعة فى الشمال الغربى من ايران ، ومنعت القوات السوفييتية البوليس الايرانى من التدخل حتى توطدت الأمور للثائرين . وفى ١٢ ديسمبر من نفس العام أعلن قيام " جمهورية آذربيجان المستقلة " برئاسة " جعفر بيشوارى " نائب تبريز عاصمة الاقليم فى البرلمان الايرانى ورئيس حزب توده فى آذربيجان الذى شكل جيشا شعبيا بمساعدة السوفييت .

كما أعلن عن قيام " جمهورية مهاباد الشعبية " فى مدينة مهاباد عاصمة اقليم كردستان الايرانى فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٥ .

ووقعت الجمهوريتان الشيوعيتان معاهدة تحالف عسكرى وصداقة مع الاتحاد السوفييتى فى ٢٣ أبريل ١٩٤٦ تسوغ للسوفييت البقاء . ولما حلّ الموعد المقرر لسحب القوات الأجنبية من ايران فى مارس ١٩٤٦ قدّمت الحكومة الايرانية شكوى الى مجلس الأمن لمطالبة الاتحاد السوفييتى بسحب قواته (٢٧) .

وفى ٤ أبريل ١٩٤٦ عقد اتفاق سوفييتى ايرانى يتضمن انسحاب القوات السوفييتية من ايران وانشاء شركة بترولية مشتركة ، واجراء مفاوضات مباشرة بين ايران وآذربيجان . حيث اتفق على اعتبار آذربيجان مقاطعة مستقلة بشرط أن تدفع ربع الضرائب التى تحصلها الى الحكومة الايرانية . وانتهج رئيس الوزراء الايرانى"قوام السلطنة " سياسة موالية للسوفييت ، فعيّن ثلاثة وزراء من حزب توده ، ولكن ثار الشعب الايرانى وأعلن الاضراب العام وقامت اضطرابات فى منطقة شركة البترول الانجليزية الايرانية فى الجنوب وحشدت القوات البريطانية على الحدود ، فاضطر"قوام السلطنة"الى ابعاد الوزراء الشيوعيين وتخلى عن سياسته ، وقبض على أعضاء خزب توده ، ثم ارسل قواتا ايرانية الى تبريز ومهاباد بعد انسحاب السوفييت . وأخيرا سقطت حكومتا آذربيجان الشعبيه ومهاباد الكردية الشعبية المستقلتين . أما اتفاقية شركة البترول الايرانية السوفييتية فقد رفض البرلمان

الايرانى التصديق عليها فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ . وفى ٢٠ يونيو ١٩٤٧ عقد اتفاق أمريكى ايرانى لمد ايران بالعتاد الحربى .

وحاول الاتحاد السوفييتى من خلال انتشاره فى دول وشعوب الشرق الأوسط أن يصل الى الخليج العربى. وقد سبق لموسكو اقامه علاقات مع اليمن والمملكة العربية السعودية (٢٨) ، عندما بادرت بالاعتراف بضم الحجاز وسبقت بريطانيا فى هذا الشأن ، وأيضا عندما واجهت السعودية أزمة مالية خطيرة اثر التخلص من " الاخوان " عام ١٩٣٠ ، قدّم السوفييت بعض المساعدات المالية والفنية ، غير أنهم تبيّنوا خطأهم فى التركيز على شبه الجزيرة العربية لنشر الشيوعية فيها ، فقررت موسكو اغلاق مفوضيتها فى جدة سنة ١٩٣٨ . وجدير بالملاحظة أن موضوع الخليج العربى لم يغب عن بال " مولوتوف " وزير الخارجية السوفييتى خلال زيارة قام بها الى برلين فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ ، حيث اقترح تعديل مناطق النفوذ بين البلدين واحْداها مجال حيوى للسوفييت جنوب باكو وباطوم صوب الخليج العربى (٢٩) .

وظهر الاتحاد السوفييتى بعد الحرب العالمية الثانية كقوة عظمى وقامت منافسة حادة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية فى جميع مناطق العالم ، وفى كل المجالات . وتجسّدت هذه المنافسة فى تسابق الكتلتين الغربية والشرقية فى السيطرة على الدول الأخرى وتأسيس المنظمات العسكرية . وقد وجّهت الدبلوماسية السوفييتية ضربة قاصمة

للدبلوماسية الأمريكية ، ذلك أن أمريكا وقعت فى تناقض خطير ، فبينما كانت تدعّم حريات الشعوب وتسهم فى تصفية الامبراطوريات الغربية مما كان يمثل احدى نقاط الخلاف الهامة مع حلفائها الأوروبيين (٣٠) أسرعت الولايات المتحدة الأمريكية لترث الغرب وتقييم القواعد وتنشىء الأحلاف ، أى أنه حدث تناقض بين دعوتها المضادة للاستعمار ودعوتها " لملىء الفراغ " (٣١) . وعلى هذا النحو من الاضطراب السياسى اخذ الاتحاد السوفييتى يتصّيد أخطاء السياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط حتى تمكنت من الدخول الى العالم العربى عام ١٩٥٥ . وقد حرص الاتحاد السوفييتى على ابراز الجانب الأيديولوجى فى العلاقات السوفييتية مع دول المنطقة حتى يمكّن من خلق مركز صداقة له فى العراق . وفى نفس الوقت لم تتحدد ملامح السياسة السوفييتية فى الخليج العربى ككل . وأصبح واضحا تماما أن السياسة السوفييتية فى الخليج العربى حدّدتها عوامل عديدة ، أهمها ما يلى :

١ - الصراع بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية خاصة فى مجال الاستراتيجية البحرية .

٢ - موقف الاتحاد السوفييتى من قضية الوحدة العربية .

٣ - البترول العربى خاصة بترول منطقة الخليج العربى .

وينظر الاتحاد السوفييتى الى الخليج العربى من وجهة استراتيجية

تتعلق بالأمن السوفييتى ، حيث تعدّه أحد المجالات الحيوية لسيطرتها ونفوذها ، ولذلك جاهدت فى تخليصه من النفوذ السياسى والعسكرى لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . كذلك يعدّه احدى حلقات الاستراتيجية البحرية السوفييتية (٣٢) .

وكان الاتحاد السوفييتى حين دخل الى العالم العربى فى ظروف صراعه مع الاستعمار الغربى ينظر الى السيطرة العالمية سياسيا ثم استراتيجيا ثم ايديولوجيا . فقدم المعونات ، وأغلبها عسكرى وبعضها اقتصادى (٣٣) . وكان الاتحاد السوفييتى - على أرجح الآراء - يتلمّس لنفسه موطىء قدم سياسى فى المنطقة العربية بتقليص النفوذ الغربى فيها ، ثم خلق جبهة موالية لهم من المثقفين ، ثم الكوادر العسكرية بحكم تصديره للسلاح وما يلزمه من خبراء وصيانة وغيرها . وأيضا قد يعطف على حزب سياسى شيوعى ويتجاوب معه للتمويه ، وبذلك يمهّد التربة لعملية التهىء الأيديولوجى دون فرض مباشر لهذه الأيديولوجية (٣٤) .

ويطبق الاتحاد السوفييتى خطّته هذه فى ظل قيدين :

أ - عدم الاصطدام عسكريا بالقوى الغربية .

ب - عدم المواجهة مع النظم المحلية تحت اى ظروف .

وتمكّن بهذه الطريقة من الوصول الى العالم العربى ، وضم مركزَ ولاء سياسى استخدمه بعد ذلك كمركز لقوته البحرية ، فوصل الى الخليج

العربى عن طريق العراق (٣٥) .

وقد وضع الاتحاد السوفييتى الخليج العربى فى مرتبة استراتيجية هامة ، فلا غرابة أن يسعى جاهدا الى تقويض النفوذ الأجنبى فيه ويفرض وجوده البحرى والسياسى . وقد أدرك المخططّون العسكريون السوفييت أن طرد الولايات المتحدة الأمريكية من منطقة الخليج العربى يأتى عن طريق افساد ميزتهم الاستراتيجية فى البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط وبطريقتين :

أ - تعزيز الوجود البحرى السوفييتى .

ب - عقد صفقات الأسلحة للعرب (٣٦) .

لذلك انتهز فرصة قرار الانسحاب البريطانى شرقى السويس ووصفته وكالة " تاس " السوفييتية " بالمحاولات الجديدة للدوائر العدوانية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للتدخل فى شئون دول الخليج العربى (٣٧) وأكدّ الاتحاد السوفييتى فى بيان رسمى صدر فى مارس ١٩٦٨ بأن قيام حلف دفاعى اقليمى بعد انسحاب بريطانيا من الخليج يعد موجها فى الدرجة الأولى ضد أمن حدوده الجنوبية " . وكانت هذه أول مرة يتحدث فيها الاتحاد السوفييتى عن منطقة الخليج بوصفها حدودا جنوبية له ، كذلك اعترض الاتحاد السوفييتى على فكرة الاتحاد بين امارات الخليج باعتبارها مخطّطا امبرياليا (٣٨) .

ويبدو اصرار الاتحاد السوفييتى على تقوية مركزه فى الخليج العربى

من اهتمامه بدعم قوته البحرية فى المحيط الهندى التى زيدت بطريقة مضطردة ، وربطها بشبكة من التسهيلات البحرية قوامها الميناء الهندى " Visakhapatanam " الذى أعدّه الاتحاد السوفييتى لاستقبال الغواصات ، وجزيرة سوقطره حيث شيّد محطة بحرية للراديو وتخزين الذخيرة . كما وقع الاتحاد السوفييتى معاهدات صيد مع ما لا يقل عن عشر دول تمتد من مصر حتى اندونيسيا . كذلك اقام الاتحاد السوفييتى سلسلة من العوّامات تصلح للرسو على طول الساحل الشرقى تستخدمه سفن الامداد والوقود والمساعدات الملاحية للغواصات النووية (٣٩) .

وقد حدّدت جريدة " الموند " الفرنسية تاريخ تواجد السفن السوفييتية فى منطقة المحيط الهندى بطريقة فيها فعاليه فذكرت أنه بدأ برحلة محيطية استطلاعية عام ١٩٦٧ ، وفى العام التالى زاد طراد وسفينتان من الأسطول السوفييتى فى الباسيفيكى ميناء أم القصر العراقى (٤٠) . والعلاقة واضحة بين زيارة السفن السوفييتية للميناء العراقى فى شهر مايو سنة ١٩٦٨ وبين الموقف السوفييتى من قرار الانسحاب البريطانى من منطقة الخليج تلك الزيارة التى تذكرنا بزيادة الطراد الروسى "Gilyak " لبندر عباس منذ بداية هذا القرن ، مع الأخذ فى الاعتبار أن المسألة أمام روسيا لم تعد مجرد الوصول الى المياه الدافئة ، كما كانت يومها للضغط على بريطانيا ، بل زادت أهمية الخليج العربى وأصبح معبرا لربط المصالح السوفييتية منذ امتد نطاق

هذه المصالح الى شرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا (٤١) .

وحلّلت جريدة " الجارديان " البريطانية محاولات الاتحاد السوفييتى حصوله على ركيزة فى الخليج العربى على هيئة ميناء أو نفوذ فى احدى دوله بأن الاتحاد السوفييتى يحاول بحافز من النكسات التى منى بها فى مصر والسودان أن يجعل العراق تحل مكانهما ، فوقع معاهدة صداقة وتعاون مع العراق ، وقدّم مساعدة مالية وفنية ضخمة من أجل تطوير حقول البترول العراقية " كما قدّم للعراق مساعدات عسكرية على نطاق واسع (٤٢) .

وعلى هذا النحو نظرت ايران بقلق بالغ لتواجد أسطول سوفييتى فى مياه المحيط الهندى ومنطقة الخليج العربى فى اتجاه الموانى العراقية . وكان محمد رضا بهلوى شاه ايران السابق يقلقه اتساع النفوذ السوفييتى فى المنطقة خاصة تمركزه فى أم القصر بالعراق التى ليست بعيدة عن مرمى البنادق من الجانب الايرانى . كما كان يخشى تسليح الاتحاد السوفييتى للعراق بهذه الطريقة وبأكثر من حجم القوة العراقية لانه كان يعلم أن هذا السلاح سيوجه فى يوم ما فى صدر ايران (٤٣) .

لقد عمل الانجليز فى الخليج العربى على تحويل علاقاتهم مع مشيخاته واماراته من معاهدات عدم اعتداء ومقاومة لتجارة الرقيق الى معاهدات أخرى تثبت أقدامهم فى أراضيها وفى مياهها ، وحوّلتها الى

محميات بريطانية حتى يتمكنّوا من ادعاء ملكيتهم للخليج العربى ومراقبة اتجاهات النفوذ الروسى فى الهضبة الايرانية (٤٤) .

وعند نهاية القرن التاسع عشر كان الخليج العربى قد أصبح بحيرة بريطانية ، كما أصبحت الامارات والمشيخات العربية القائمة على سواحله محميات بريطانية أيضا . وفى العراق كان النفوذ الانجليزى أقوى نفوذ ، وكانت المصالح الانجليزية أقوى مصالح ، فقد كانت لهم فيه رعاياهم الهنود ومن زوار العتبات المقدسة ، وعن طريقهم اكتسبوا لأنفسهم تدخّلا فى الشئون الصحية ، وفى توزيع الأوقاف الهندية على المستحقين وغير ذلك (٤٥) .

وكان فتح قناة السويس قد أوصل السفن الروسية الى مياه الخليج العربى ، والى هناك أرسل الروس بعثة فنية لاختيار المواقع الملائمة لاقامة موانى روسية فيها . وكان وصول روسيا الى الخليج العربى قد أقام الانجليز وأقعدهم فانبرى اللوردكيرزون الاستعمارى البريطانى الشهير صائحا : " بأن قيام ميناء لروسيا فى الخليج العربى هو الحلم الجميل الذى طالما حلمت به ، ولكنه سوف يجلب حتى فى أوقات السلم الفوضى وعدم الاستقرار فى مياه هذا الخليج ، وسوف يهز التوازن الذى أقيم فيه بتعب وكفاح ، ويحطّم التجارة التى تقدر بالملايين من الجنيهات الاسترلينية " (٤٦) . وأخيرا نادى اللورد كيزون بترك بريطانيا وروسيا يتحاربان فى مكان آخر أو تسوّيان خلافاتهما فيه . ثم هدّد بأنه يعتبر أن حصول روسيا على امتياز من دولة لاقامة ميناء لها على سواحل هذا الخليج

اهانة متعمدة لبريطانيا ، واخلالا بالوضع القائم فيه ، واستفزازا مقصودا للحرب .

وعندما انسحبت بريطانيا من منطقة الخليج العربى عام ١٩٧١ كجزء من سياستها القائمة على التخلى عن التزاماتها العسكرية شرقى السويس ثار جدل حول الفراغ الاستراتيجى الناتج عن تطبيق هذه السياسة ، وعن تحرك الاتحاد السوفييتى السريع نحو ملء هذا الفراغ (٤٧) . ولا تزال بريطانيا تعمل على توثيق علاقاتها مع دول الخليج العربى وكذلك ايران ليقفوا فى وجه الشيوعية والمد السوفييتى . يقول الدكتور جمال زكريا قاسم ما يلى : " أنه سيترتب على انهاء الوجود العسكرى البريطانى نمو نفوذ قوة غير مرغوب فيها يفترض أنها الاتحاد السوفييتى ، وعلى الرغم من أن قرار الانسحاب ، كما قرر الخبراء السياسيون والعسكريون ، لا يعنى توجيه دعوة مفتوحة الى موسكو ، الّا ان مجرد اعلان الغرب عدم اهتمامه بالمنطقة يمكن أن يعدّه الاتحاد السوفييتى بمثابة دعوة صريحة له خاصة بعد أن أصبح للاتحاد السوفييتى نوايا واضحة فى الخليج تستهدف مواجهة الاحتكارات الغربية وترسيخ وجوده البحرى والنفاذ منه الى الأقطار المجاورة فى آسيا وأفريقيا (٤٨)

ايران كدولة فى منطقة الخليج العربى :

لايران أهمية كبرى فى الصراع الدولى منذ القرن التاسع عشر ، عندما بدأ الصراع بين الدول الكبرى حول مناطق النفوذ والاستعمار . وأهمية ايران من وجهة نظر السياسة الدولية ترجع قبل كل شىء الى موقعها الجغرافى ، فهى تقطع طرق المواصلات العالمية البرية المتجهة بين الشرق والغرب وبين الخليج العربى والاتحاد السوفييتى شمالا . كما أنها فى ذات الوقت أحد طريقى الاقتراب الرئيسيين برّا للاتحاد السوفييتى فى اتجاه البحار المفتوحة والى الخليج العربى والتى يمكنها عن طريقه الوصول الى أهم منطقة حيوية بين الشرق والغرب ، وهى منطقة الشرق الأوسط (٤٩) .

لقد شغلت ايران حيزا هاما فى الصراعات الكبرى التى دارت بين روسيا وبريطانيا ، ثم أصبحت الآن مجالا للصراع بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . ولذلك يعتبر الصراع حول ايران صراعا تقليديا . لقدكان صراع بريطانيا وروسيا فى ايران هو المظهر التقليدى للسياسة الدولية فى ايران حيث كانت سياسة بريطانيا التقليدية تنحصر فى سلامة مستعمراتها فى الهند ، ومن ثم سلامة مواصلاتها البرية والبحرية اليها ، ولذلك قاومت بريطانيا دائما ظهور أى قوة دولية يمكنها مزاحمتها فى هذه المنطقة حتى تضمن لسياستها الاستمرار والبقاء . أما سياسة روسيا فقدكانت تنحصر فى شعورها بالاختناق لبعدها عن البحار الدافئة المفتوحة التى يمكنها عن طريقها الخروج الى مناطق العالم

الاخرى بحثا وراء التوسع والتجارة . ولذلك فقد عملت دائما منذ عهد بطرس الأكبر على الحصول على منفذ لها عن طريق مضيق الدردنيل الى البحر الأبيض المتوسط ، وأيضا عن طريق ايران الى الخليج العربى(٥٠)

ويعتبر الامتداد الروسى البرى فى اتجاه الشرق والجنوب تهديدا مباشرا لسياسة بريطانيا ونفوذها ومصالحها فى الهند والخليج العربى ، ولذلك فقد كان همّ بريطانيا من التدخل فى شئون ايران هو ابعاد الخطر الروسى عن مناطق نفوذها ، وتأمين قواعد الخليج العربى التى تحمى طريق الهند البحرى ، وقد كان تضارب المصالح هو سبب النزاع بين بريطانيا وروسيا ومن هنا نشأت أهمية موقع ايران فى السياسات الدولية (٥١) .

وبصفة عامة كان الاتحاد السوفييتى ينظر الى ايران وغيرها من دول المنطقة بعد سقوط الدولة العثمانية نظرة استخفاف على أنها دول لا مستقبل لها . وعندما نهضت ايران فى العقدين السادس والسابع من هذا القرن تغيّرت النظرة السوفييتية . ولكنه يتصرف بطريقة عصبية تجاه ذلك ويحقد على الدول التى تهىء المجال لهذه اليقظة .

وكانت ايران تخشى من التواجد السوفييتى فى الخليج العربى ، حتى وصل الأمر أن شاه ايران السابق نظر نظرة ملؤها الشك والقلق تجاه

الوجود السوفييتى الضخم فى شمال العراق وهى منطقة كردية تريد الاستقلال وتكوين دولة كردية تضم كافة الأكراد فى ايران والعراق وتركيا وسوريه ، وأيضا امكان استخدام معاهدة الصداقه وينحاز لصالح العراق فى مواجهة ايران فى الوقت الذى يراه مناسبا ، أو استخدام السوفييت العراق كأحد ذراعى كماشة تلتف حول ايران فى حلقة من عمليات التخريب على أن يكون الذراع الثانى المنطقة الشرقية التى يزداد فيها النفوذ السوفييتى ، ونعنى بلوشستان (بلوجستان) الباكستانية وأفغانستان ٠

ومن ناحية أخرى قامت سياسة الغرب بعد الحرب العالمية الثانية (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية) فى ايران على أنها تقوم على أساس منع أى نفوذ سوفييتى من التسلّل اليها والوصول الى الخليج العربى لأن ذلك الأمر يهدد مواصلات بريطانيا مع الهند بريا وبحريا (٥٢) ٠

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية ، طبقا لاعلان الرئيس الأمريكى هارى ترومان ، والمزايا التى رسمتها السياسة والاستراتيجية الأمريكية تجاه ايران بارسال العون المادى لها من فائض اسلحة الجيش الأمريكى والعتاد الذى لم يستعمل فى الحرب العالمية الثانية ، والذى كان مكدسا بمخازنها فى مختلف القواعد العسكرية الأمريكية فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ٠ وأيضا أرسلت اعانات اقتصادية وتموينية سريعة خشية وقوع ايران فى قبضة الكتلة الشرقية أو حدوث انقلاب داخلى

مفاجىء من تلك العناصر التقدمية المتطرفة أو اليساريه التى لا تميل الى الغرب وتتعاون مع الاتحاد السوفييتى ، أو من بعض الأحزاب أو رؤساء العشائر الايرانية التى كانت تتلقى أوامرها من خارج البلاد بقصد الاستيلاء على الحكم والسلطة فى ايران (٥٣) .

وأخيرا يساعد الاتحاد السوفييتى حاليا العراق فى نزاعه مع ايران تلك الحرب التى كانت تبدو فى بادىء الأمر محلية وبسيطة ، الاّ أن الحرب اتخذت أبعادا عالمية حتى أصبحت سوقا هائلة للسلاح تشارك فيها كافة الدول الكبرى بدون استثناء بما فى ذلك الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية والصين الشعبية واسرائيل .

الوجود السوفييتى فى الخليج :

تهتم موسكو اهتماما كبيرا بمنطقة الخليج العربى ، لأنه يقع بالقرب من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتى ، ولا يفصله عنه سوى العراق وشرق تركيا وايران • وخير دليل على ذلك أنه عندما بدأت تظهر سحب قاتمة تشير باحتمال قيام حرب ذرية بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية وضع الاتحاد السوفييتى خططه الاستراتيجية على ان منطقة الخليج العربى وايران ذات أهمية عسكرية من وجهة نظر الدفاع السوفييتى علاوة على كونها منطقة بترول (٥٤) .

ويعتبر العراق الصديق التقليدى للاتحاد السوفييتى فى منطقة الخليج العربى ، لذلك يبدو واضحا أن التحالف بين موسكو وبغداد له أهمية ليست اقتصادية فحسب ، بل وسياسية أيضا ، فالعراق تتصرّف بالطريقة السوفييتية التى تعمل على تفجير التحالف الموجود بين ايران وتركيا ، كما أن البترول العراقى يفسح أمام الاتحاد السوفييتى الطريق الذى يؤدى الى الخليج العربى والمحيط الهندى • ويأمل الاتحاد السوفييتى من خلال صلاته ومساعداته للعراق على كسب يعملون من أجله فترة طويلة ، وهو التقدم نحو موانى " المياه الدافئة " ، وأن هناك اغراءات كبيرة استتراتيجية واقتصادية وكما يشير الاحصاءان نحو ٦٠٪ من احتياطيات البترول العالمية المؤكدة فى منطقة الخليج ، وتحصل أوروبا على أكثر من ٥٠٪ من احتياجاتها منه (٥٥) • ويستخدم الاتحاد السوفييتى حقول البترول فى شمال

الرميلة بالعراق ، بهدف استخراج ٤٠ مليون طن سنويا . ولهذه الاستثمارات أهمية كبيرة اذ تمكن الاتحاد السوفييتى من تأمينه عن طريق ممر مائى ومن ثمّ على منفذ له فى الخليج العربى (٥٦) وأيضا حصل الاتحاد السوفييتى على حق استخدام قاعدة جوية بالقرب من كركوك ، وتسهيلات أخرى منها انشاء محطات الرادار لمراقبة ايران (٥٧) . كذلك يخدم ميناء أم القصر الصغير الذى يقع على شط العرب الأسطول السوفييتى منذ عام ١٩٦١ .

ان العمليات الاقتصادية مكنّت الاتحاد السوفييتى من تحقيق أهدافه حين جعل فى حيازته منشآت الانتاج التى تعمل فى مجال البترول الخام هناك . ولهذا عقد الاتحاد السوفييتى - عن قصد - فى شهر أبريل ١٩٧٢ معاهدة الصداقة مع العراق . وبدأ الاتحاد السوفييتى تأييده القوى دون تطفل من جانبه لمطامع العراق فى الخليج العربى . ومع ذلك فان الاتحاد السوفييتى يقدم للعراق تأييدا حذرا ، وان كان قويا فى سعيه لتأكيد وضعه فى العراق . كما وأن التحرك السوفييتى العراقى فى الخليج سيساعد على وحدة الصفوف فى معسكر الدول والامارات الخليجية التى لا تحب التعامل مع الاتحاد السوفييتى . ثم انه يجب التمييز بين ثلاثة أهداف رئيسية بالنسبة للسياسة السوفييتية لتواجده فى الخليج العربى ، وهى :

أ - الانتقاص من النفوذ الغربى والنظام الرأسمالى .

ب - توسيع نطاق النفوذ السوفييتى ، وقد وطّد صلاته مع العراق واليمن الجنوبية (عدن) .

جـ - الاعتراف بالاتحاد السوفييتى كقوة فى منطقة الخليج العربى كدولة لها مصالحها فى المنطقة وقادرة على التأثير على الأحداث فيها .

ويمتلك الاتحاد السوفييتى قوة بحرية كبيرة متمركزة فى المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج العربى . ويحاول السوفييت الوصول الى قدرة عسكرية .

ومن المؤكد أن وجود قوة بحرية سوفييتية فى الخليج العربى لها فى حقيقة الأمر تأثير على الموقف الخليجي . كما حدث له من قبل عند تقييد التدخل الأمريكى بطريقة تمكنت بها السفن الحربية السوفييتية من تقييّد حرية الأسطول السادس الأمريكى فى مناوراته بالبحر المتوسط (٥٨) .

ومع كل هذه الاحتمالات فان الوجود السوفييتى فى الخليج العربى يعتبر ضئيلا ومقصورا على العراق التى زادت أواصر علاقاتها ، وذلك نتيجة محاربة المملكة العربية السعودية للشيوعية ، وهى الدولة الكبرى فى المنطقة ذات النفوذ التقليدى . ومن الملاحظ ان موقف السعودية أصبح أقل فتورا بعد وفاة الملك فيصل ، وأن دول منطقة الخليج العربى فيما عدا الكويت لا تتبادل التمثيل الدبلوماسى مع الاتحاد السوفييتى .

ثم ان حكام وشعوب المنطقة لا يقبلون المبادىء والأيديولوجيـــــــة السوفييتية نظرا لطبيعة النظام القبلى والاسلامى التى يسودهـــا . وبناء على ما تقدم فان ركائز الاتحاد السوفييتى فى المنطقة والـــــتى يستخدمها لتنفيذ مخططاته فيها هى ركائز ضعيفة بالنسبة للركائـــز الأمريكية .

أهمية بترول الخليج العربى للاتحاد السوفييتى :

يحظى بترول الخليج العربى باهتمام الاتحاد السوفييتى سواء فى استخراجه أو الاشتراك فى استخراجه والاتجار فيه . ان الثروات الطبيعية لبلدان الخليج العربى تتألف من خزان احتياطى هائل للبترول ، وبازدياد استخراج البترول فان الواردات المستحصلة من تصديره أخذت تؤلف جزءا كبيرا للغاية من دخول هذه البلاد . فان اقتصاد بلاد كالمملكة العربية السعودية والكويت وقطر والبحرين يعتمد - بدون مبالغة - بصورة كلّية على تصدير البترول حيث أن دخل البترول وحده يؤلف أكثر من ٩٠٪ من باب الواردات فى ميزانيات الدول المذكورة .

وتعتبر صناعة البترول فى الدول والامارات العربية الخليجية هى المجمع الصناعى الوحيد الذى يقف بمستوى متطلبات التكنيك العصرية ، غير أنه نظرا لكونه يعتبر ملكا كاملا تقريبا للرأسمال الأجنبى فينبغى النظر اليه كعضو منعزل فى اقتصاد هذه الدول .

ولا شك أن منطقة الخليج العربى هى مسرح كبير لصراع الدول كبرى من أجل البترول ، ولذلك يعمل الغرب كما ذكر " جان جاك سيرفى " على ابقاء العملاق السوفييتى بعيدا عن منابع بترول منطقة الخليج العربى أهم المشكلات التى يواجهها الغرب (٥٩) . وقد نشرت بذلك جريدة " زوددويتشه تسايتونج " الالمانية فقالت : ان منطقة

الخليج العربى سوف تصبح فى المستقبل القريب مسرحا لصراع الدول الكبرى من أجل البترول " (٦٠) . الا انه كان متوقعا ان يكون الصراع بعد فترة ولكنه حدث بالفعل على شكل حرب الخليج الدائرة حاليا .

ويقول الدكتور جمال زكريا قاسم فى هذا الشأن ما يلى : " لم يلبث المركز البريطانى ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أن تعرض لضربة أشد عنفا ببروز الاتحاد السوفييتى ودعايته ضد الامبريالية والدفاع عن الشعوب ضد الاستغلال . على حين نظرت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية الى تطلع الاتحاد السوفييتى الى موارد النفط فى الخليج وما يترتب على ذلك من حجب هذه الموارد عن الغرب فضلا عن احتمال استخدام العرب النفط كعامل مساعد لتحقيق مزايا سياسية أو اقتصادية (٦١) .

وللبترول والغاز الطبيعى أهمية بالغة فى الاتحاد السوفييتى كطاقة وتدل الاحصاءات الحديثة على ارتفاع معدل استهلاك الطاقة ، خاصة البترول والغاز الطبيعى فى الاتحاد السوفييتى لا يكفى معدّل الاستهلاك من البترول والغاز الطبيعى (٦٢) . وتقول الاحصاءات الأخيرة (عام ١٩٧٨) أن الاحتياطى السوفييتى من البترول يكفى كل ما تحتاجه الكتلة الشرقية بما فيها الاتحاد السوفييتى خلال عدّة عقود قادمة ، غير ان ارتفاع الانتاج تجعل الكتلة الشرقية تعانى عجزا فى النفط القادر على المنافسة الاقتصادية (٦٣) .

وهذا فى حدّ ذاته يعنى أن الاحتياطى الضخم وانخفاض تكلفه الانتاج

فى الشرق الأوسط تشد انتباه الاتحاد السوفييتى نحو البترول العربى . وبالفعل فانه منذ سنة ١٩٦٥ بدأ الاتحاد السوفييتى يضمن مصادر البترول فى العراق ومصادر الغاز الطبيعى فى أفغانستان وايران على أساس المقايضة . وهذا يحقّق للاتحاد السوفييتى عدّة ميزات ، منها ضمان تصريف المنتجات السوفييتية أو استهلاك ديون هذه الدول المدينة (٦٤) للسوفييت مقابل صفقات الأسلحة فى الغالب ، ومنها أيضا رخص ثمن البترول وجودته وهذا فى حد ذاته يمكّن الاتحاد السوفييتى من بيعه فى الأسواق العالمية غير الشيوعية للحصول على العملة الصعبة (٦٥) . ومنها كذلك امكان امداد أوروبا الشرقية بالبترول السوفييتى ، اذ أنها ستضطر لذلك حيث يحتاج الاستيراد من الخارج الى عملة صعبة تعانى النقص فى أرصدتها ، وهو ما يضع عليه الاتحاد السوفييتى قيودا شديدة لاعتبارات أمن السيطرة السوفييتية ، أو تتجه نحو الاستثمار فى النفط السوفييتى ، وهو ما تخشاه دول أوروبا الشرقية حتى لا تزداد دواعى السيطرة السوفييتية السياسية والاقتصادية (٦٦) .

ورغم حاجة الاتحاد السوفييتي الى البترول -كما رأينا - فانه لا يمثل قضية حياة أو موت بالنسبة له . لذا يعد عنصرا ذا أهمية حاسمة فى تشكيل السياسة السوفييتية فى المنطقة ، أى لا يدفع الى مخاطرة الاحتكاك المسلح مع الغرب . وجدير بالملاحظة أن اختلاف حجم ومضمون أهمية البترول فى السياسة السوفييتية لم يستطع السوفييت ارساء جسور التقارب مع حكام الدول والامارات العربية حتى بعد أن أخذ الغرب

فى الاعتراف ببطىء وعلى مضض بأن الاتحاد السوفييتى دولة بوسعها أن تؤثّر فعلا فى المنطقة ، وأنه يجب التشاور معها وعدم الوقوف فى وجهها • وينبثق هذا الاعتراف الى حد كبير من مقدرة الاتحاد السوفييتى على تقديم الأسلحة ، وهو ما يعنى أن بوسعه الاستقرار أو عدم الاستقرار فى العلاقات العسكرية داخل المنطقة •

الخاتمـة

بعد هذا الاستعراض المستفيض عن صلة الاتحاد السوفييتى بمنطقة الخليج العربى وتمسكه ، وبشدة ، فى الاسهام فى الاشتراك فى استخراج البترول مهما كلّفه من جهد والحصول على موطىء قدم فيه ليكون الانطلاق منه للسيطرة على المنطقة . ومع هذا وطبقا لما ناقشناه من قضايا وأفعال نجد أن الاتحاد السوفييتى ينحصر أهدافه فى الخليج العربى فيما يلى :

١ - مدّ نفوذه الى منابع النفط فى المنطقة .

٢ - محاصرة النفوذ الأمريكى فى المنطقة والانتقاص بصفة عامة من النفوذ الغربى .

٣ - توسيع نطاق النفوذ السوفييتى عن طريق التغلغل الشيوعى فى المنطقة .

٤ - الاعتراف بالاتحاد السوفييتى كقوة فى منطقة الخليج العربى كدولة لها مصالحها فى المنطقة وقادرة على التأثير على الأحداث فيها .

٥ - اضعاف الوجود الغربى فى الخليج لاسيما الوجود العسكرى .

ويلاحظ أن ركائز النفوذ السوفييتى فى منطقة الخليج العربى ممثّل فى تواجده فى العراق ، وهو قليل نسبيا . وعلى ذلك فان ركائزه فى المنطقة والتى يستخدمها فى تنفيذ مخططاته هى ركائز ضعيفه بالنسبة للركائز الأمريكية . ومن ناحية أخرى يهم الاتحاد السوفييتى بألّا ينهار

انتاج البترول فى منطقة الخليج العربى . ويبدو من أزمة الحرب العراقية الايرانية الراهنة أن الاتحاد السوفييتى لا يريد القيام بدور هام فى منطقة الخليج العربى ،بل يحاول كسب نفوذ فيها والاشتراك فى استخراج البترول وتسويقه عالميا .

وأخيرا يمثل الاتحاد السوفييتى جبهة مؤثرة فى أحداث الخليج العربى ، وان كان تأثيره هذا يأتى غالبا فى صورة غير مباشرة ، اذ أنّ مخاوف الغرب من تسلّل النفوذ السوفييتى هو الذى يدفعه الى كثير من التصرفات السياسية وغيرها فى المنطقة . وان كانت مشاركة الاتحاد السوفييتى سلبية الى حدكبير ، الاّ أن الرعب المسيطر على الغرب من الخطر الشيوعى يوجّه كثيرا مواقف الغرب .

ولكن من الثابت والواضح أن الاتحاد السوفييتى يسعى الى فرض نفوذه أو سيطرته على حيوية الممر المائى للخليج العربى من حيث كونه الشريان الرئيسى لمدّ الغرب بالبترول . والسبب فى ذلك هو مجرد أن سياسة تصارع القوى لم تعد فى حدّتها كما كانت من قبل ، علاوة على أن ما أدت اليه سياسة التهادن من مصالح مشتركة ومكاسب مستقبلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى يؤمنان على القوتين التماسك وعدم الاندفاع فى تنافسهما العالمى ، وذلك حتى لا يتعرّضا لخسارة ما قد حقّقتاه حتى الآن من مكاسب نتيجة التهادن والتقارب . وان كان الطبع السوفييتى من المفيد لديه اثارة اضطرابات بحجم ضيّق وبعث روح معادية للغرب فى منطقة الخليج العربى .

هوامش البحث

١ - د٠ محمد متولى : حوض الخليج العربى ج ٢ ، ص ٣٤١ ٠

٢ - د٠ ابراهيم الشريف : الأطماع الاستعماريه فى الشرق الأوسط القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٣٥ ٠

٣ - د٠ أمين محمود عبد الله : الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر ، ص ٢٨١ ٠

٤ - د٠ صلاح بحيرى : جغرافية الصحارى العربية ، عمان ١٩٧٢ ص ١١٣ ٠

٥ - د٠ ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ٠

٦ - د٠ خالد العزى المحامى : الخليج العربى ، ماضيه وحاضره - بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٢ ٠

٧ - المرجع السابق ص ١٠٣ ٠

٨ - د٠ عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ - ١٩١٤ ، ص ٢١ ٠

٩ - Sarah Searight : The British in the Middle East. p. 163.

١٠ - د٠ محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره فى البلاد العربيه ، ص ٦ ٠

١١ - د٠ محمد انيس ود٠ السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٩٠ ٠

١٢ - د٠ أحمد عبد القادر الجمال : مشكلات الشرق الأوسط ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٥٣٦ .

١٣ - P. J. Vatikiotis, Arob & Regional Politics in the Middle East, Croom He - Mltd , Kent, 1984. P. 39.

١٤ - د٠ أحمد عبد القادر الجمال : المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .

١٥ - Northedge, F. S. foreign Politices of the powers, London, 1986, P. 29.

١٦ - Ibid, P. 74

١٧ - د٠ اسماعيل صبرى مقلد : الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط ، مقال بمجلة السياسة الدولية ، العدد ٤٨ - ابريل ١٩٧٧ ، ص ٧ .

١٨ - Northedge, F. S. foreign Politices of the powers, London, 1986, P. 31 & The Gulf : Implications of the British Withdrawal, Georg-town University press, U. S. A., 1979, P. 59.

١٩ - Northedge, F. S. : op- cit, P.P. 75.

٢٠ - Ibid, P. 75.

٢١ - The Gulf : op-cit, P. 10.

٢٢ - د٠ محمود الداود : الخليج العربى والعلاقات الدولية ، نشر معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٥٥ .

٢٣ - راجع بالتفصيل المحاولات الروسية للوصول الى الخليج العربى من كتاب " الخليج العربى - دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١" للدكتور جمال زكريا قاسم ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٩١ ومابعدها .

٢٤ - د. جمال زكريا قاسم : الخليج العربى - دراسة لتاريخة المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ، سنة١٩٦٦ ، ص ٤٠٢ .

٢٥ - د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

٢٦ - د. اسماعيل صبرى مقلد : الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط ، مقال بمجلة السياسة الدولية ، العدد ٤٨ - ابريل ١٩٧٧ ، ص ٢٥ .

٢٧ - المرجع السابق ، ص ٢٦ .

٢٨ - حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، وثيقه رقم ٢٦ ، ص ٢٧٥ وأيضا د. صلاح العقاد : جزيرة العرب فى العصر الحديث ، ص ٥٢ .

٢٩ - Walter La Queur : The Struggle fortthe Middle East, The Sovietunion and The East, 1958-66, London, 1969, P.8-113 & Bernard Lewis : The Middle and the West, 1968, P. 131.

٣٠ - Northedge, F. S. : P. 64 & Marian Irish and others: World Pressures on American Foreign Policy, Prentice Hall, United States, 1964, P. 71.

٣١- United States Foreign Policy in the Near East a study prepared for the Committee on Foreign Relations of the U. S. Senate, by the Institute for Mediterranean Affairs. New York, 1958, P. 36.

٣٢- مقال د٠ وليد الشريف ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس ، يناير ١٩٧٦ ، ص ٩٧ .

٣٣- Walter La Queur : op. cit, P. 181.

٣٤- Manfred T. Halpern : The politics of social change in the Modd;e East and North Africa, Prineton University press, 4th. printing, 1970, P. 407.

٣٥- The Economist : 17 - 23/5/1975.

٣٦- Hurewitz, I. C. : The Middle East-politics, the military dimension, New York, 2969, P. 494-497

٣٧- Arab Report and Record, 1968; P. 2 & 59 - 60.

٣٨- د٠ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٥٢ .

٣٩- The Times : 4/1/1971, P. 29.

٤٠- Le Monde : August, 26, 1970, P. 3

٤١- The Guardian : August, 26, 1970 &
La Queur, P. 113.

٤٢- The Guardian : April, 5, 1973.

٤٣- Ibid ولاشك أن الحرب الدائرة الآن بين كلا من العـــراق وايران لاكبر دليل على ذلك وللاستزادة يمكن الرجـــوع الى
P. J. Vatikiotis : Arab and Regional Politics in the Middle East.

٤٤- د٠ ابراهيم الشريف : الأطماع الاستعماريه فى الشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ٠

٤٥- المرجع السابـــق : المرجع السابق ، ص ١٠٤ و ١٠٥ ٠

٤٦- المرجع السابـــق : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ٠

٤٧- The Times, 22/21/1975.

٤٨- د٠ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩ ، وانى اختلف مع أ٠د جمال زكريا فى هذا لان الانسحاب البريطانى من الخليج فى ١٩٧١ ربما يكون قد وجه دعوة مفتوحه الى موسكـو ولكن الدعوة قد وجهت بالفعل - من حيث لا يرغب الجميع - الى ايران خاصة بعد الثورة الاسلامية لملء هذا الفراغ والدليل تلـــك الحرب الشرسه التى تخوضها العراق الآن والتى يمتد تأثيرها الى دول أخرى خليجية سوف تدخل الحرب وبشكل دفاعى ٠

٤٩- د٠ احمد عبد القادر الجمال : مشكلات الشرق الأوسط ، مرجع سابـــق ص ٥٣٤ ٠

٥٠ - د٠ محمد محمود السروجى : مصر والمسألة الشرقية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٦ .

٥١ - د٠ أحمد عبد القادر الجمال . مرجع سابق ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

٥٢ - المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

٥٣ - د٠ عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ ايران السياسى فى القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

٥٤ - مقال اللواء الركن حسن احمد البدرى فى مجلة السياسة الدولية : ملف السياسه الخارجية الامريكية فى الشرق الأوسط ، ملف ٤ العدد ٦٦ - اكتوبر ١٩٨١ ، ص ٧٥ .

٥٥ - The Guardian : 5/4/1973.

٥٦ - Die Welt : 9/4/1973.

٥٧ - The Guardian : 5/4/1973.

٥٨ - The Guardian : 6/6/1975.

٥٩ - جان جاك يبربى : جزيرة العرب ، تعريف نجده هاجر وسعيد العز ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ ، ص ٥٩٦ .

٦٠ - د٠ جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

٦١ - زود ديتشه تسايتونج ، جريدة المانية بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٣ .

٦٢ - عالم النفط ، المجلد الثانى ، العدد ٢٢ فى ١٩٧٠/١/١٧ .

٦٣ - عالم النفط ، المجلد الثانى ، العدد ٢٦ فى ١٩٧٠/٢/١٤ .

٦٤ - Walter La Queur : op. cit, P. 135.

٦٥ - The Times : 25/2/197).

٦٦ - Ibid.